



الشعائر والشعارات الحسينية

القسم الأول

محمّد مهدي الآصفي

اسم الكتاب: ....الشعائر والشعارات الحسينية ـ القسم الأول

المؤلف:.. محمّد مهدي الآصفي

الطبعة الأولى: .... ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩م

المطبعة: .... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾

الحج: ٣٢

المدخل

الولاء والتعبير عن الولاء

الشعائر والشعارات من أصل واحد غير أن مفرد كلمة الشعائر (الشعيرة) ومفرد كلمة الشعارات (الشعار).

و(الشعيرة) هي ما يُشعر بالعبادة لله تعالى أو الانتماء إلى الله أو الحج، وجميعها شعائر.

يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

ويقول تعالى: ﴿لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ﴾[1] أي ما يهدى إلى بيت الله ويسمى بذلك ـ كما يقول الراغب[2] ـ لأنها تشعر أي تعلم، والشعار ما يشعر به الإنسان ويعرّف به نفسه في الحرب، وجمعه (شعارات).

فالشعائر إذن هي مجموعة الطقوس والأعمال التي تُشعر بالانتماء والولاء والعبادة وما يشبه ذلك، والشعارات ما يُعرّف به المقاتل نفسه في ساحة الحرب من انتماء أو أصل أو قدرة قتالية أو استقامة على الحق وما يشبه ذلك فهما إذن يشتقان من اصل واحد وهو الإشعار والإعلام.

(١) المائدة: ٢.

(٢) مفردات الراغب: ٢٦٢.

وسوف نتحدث في هذا البحث إن شاء الله عن (الشعائر الحسينية) أولاً ثم نتحدث عن (الشعارات الحسينية)، ونقصد بـ (الشعارات الحسينية) ما تعارف عليه المؤمنون من أتباع أهل البيت عليهم السلام من إحياء ذكرى استشهاد أبي عبد الله عليه السلام في كل عام، بإقامة مجالس العزاء والنياحة على الحسين عليه السلام وأنصاره، والتفجع بمقتله عليه السلام، وإنشاد الشعر في ذلك بالفصحى واللهجات الشعبية الدراجة عند الناس، وخروج مسيرات العزاء على الحسين عليه السلام على هيئة مواكب إلى الشوارع، وزيارة الحسين عليه السلام من قرب وبعد، وأمثال ذلك مما يتعارف عليه المؤمنون من أتباع أهل البيت عليهم السلام ويتوارثونه جيلاً بعد جيل إلى اليوم... وقد كان لأهل البيت عليهم السلام عناية خاصة بإقامة هذه الشعائر، لإبقاء ذكرى شهادة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في وجدان المسلمين حيّة، غضّة.

ونقصد بالشعارات الحسينية ما كان يرتجزه الحسين عليه السلام وأنصاره عليهم السلام في ساحة المواجهة، في مقابلة العدو من الشعر، وأكثره من بحر (الرجز) و(فعل يرتجز اشتق منه)... وقد كان من عادة المقاتلين أيام القتال بالسلاح الأبيض أن يتبارز المقاتلان في الساحة

فيعرّف كل منهما بنفسه، ويذكر أصله، وحسبه، وشجاعته، ومقدرته، وصولاته القتالية.

وهذا الشعر يكشف كثيراً عن هوية المتقاتلين ونفسياتهم، والغايات التي يطلبونها في المعركة من ثأر، وسلطة، أو الدفاع عن القوم والعشيرة، أو تعصّب للأقوام والعشائر وحلفائهم، أو الدفاع عن الحق، والعدل والتوحيد... وديوان الرجز في تاريخ الجاهلية والإسلام لو جمع لكان ديواناً حافلاً بهذه المضامين الحضارية، جاهلية وإسلامية... ويسمى هذا الرجز في ساحة القتال بـ (الشعار) (وجمعه شعارات)، ووجه التسمية أن المقاتل يُشْعر أو (يُعرّف) بهذا الرجز نفسه، وأهدافه، وانتماءه القبلي أو القومي، أو الديني، وقدراته القتالية.

وفي معركة الطف يوم عاشوراء نجد ألواناً ونماذج مختلفة من (الشعارات) القتالية للحسين عليه السلام وأنصاره من جانب، ولجند ابن زياد من جانب أخر.

ودراسة هذه الشعارات تنفع الجمهور، لأنها تكشف عن نموذجين من الناس، تقاتلا في كربلاء، يمثل أحدهما قمة من قمم التاريخ في الوعي، والإخلاص، وابتغاء وجه الله، والإيثار، والتضحية، والعطاء،

والأيمان، والصبر، والمقاومة، والشجاعة، والاستماتة، في سبيل الله... ويمثل الآخر حضيض الدناءة، والفسوق، والظلم، والقسوة، والتكالب على حطام الدنيا، وابتغاء الذهب والفضة، وابتغاء وجوه الطغاة والجبابرة (املأ ركابي فضة أو ذهباً- إني قتلت السيد المهذبا).

والشعر الذي يرتجز به هؤلاء وأولئك يكشف عن هذه الخصال وتلك، ويكشف عن عروج الإنسان إلى الله، وسقوطه في أوحال الفساد.

والتعريف بهذا العروج وذلك السقوط ينفع الناس في نهج حياتهم.

ولم تتوفر دراسة مناسبة لهذا الرجز المتقابل في ساحة الطف، واكتشاف المفاهيم والقيم وخلفيات المعسكرين المتقاتلين في كربلاء... وهي دراسة نافعة ومفيدة للجمهور الذي يحتشد حول المنبر الحسيني بالتأكيد، ونحن سوف نوفر لهذه الدراسة إن شاء الله الشطر الثاني من هذا البحث.

ولا ادّعي أنها دراسة، ولكنها على كل حال محاولة وخطوات على الطريق، نرجو أن تتبعها خطوات إن شاء الله.

وهذا البحث يتألف من فصلين:

(الشعائر الحسينية)، و(الشعارات الحسينية) ولهذين الفصلين جميعاً علاقته بالخطاب الحسيني، فإنّ الشعارات الحسينية تحمل الخط والنهج الحسيني، وهذا البحث يتناول (الشعائر الحسينية) أولاً، ثم (الشعارات الحسينية)، ونرجو أن يكون نافعاً لجمهور المنبر الحسيني إن شاء الله.

الفصل الأول

الشعائر الحسينية

نتحدث أولاً عن الشعائر الحسينية، المتمثلة في مجالس النياحة والعزاء، والهيئات والمواكب الحسينية (المسيرات الشعبية)، وزيارة الحسين عليه السلام في كربلاء، وعن بُعد، كما هو مألوف في أوساط المؤمنين في قراءة (زيارة عاشوراء) و(زيارة وارث) عن بُعد، وقرض الشعر في رثاء الحسين عليه السلام وأنصاره. وما يشبه ذلك مما هو مألوف ومتعارف في أوساط المؤمنين من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وأوّل ما يجب أن نعرفه في هذا السياق هو الدلالات التي تحملها هذه الشعائر التي ورد التأكيد عليها كثيراً في أحاديث أهل البيت عليهم السلام، والتي يتعاطاها المؤمنون من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

إنّ هذه الشعائر التي تتجدد كل سنة، تحمل دلالات سياسية وثقافية واضحة، ولا نحتاج إلى توقف كثير لنكتشف الدلالات التي تختزنها مجالس النياحة، والعزاء، ومسيرات التعاطف، والتفاعل، والتضامن مع القضية الحسينية في عاشوراء.

إن هذه المسيرات والتجمّعات تحمل معنى (الشعار)، ومعنى

الشعار: الإعلام، والإعلان، والإشهار... هذا أولاً، وهذا الإعلام والإعلان ينصب على (الموقف) و(الانتماء).

إنّ هذه الشعائر إعلان للموقف السياسي والثقافي، وإعلان للانتماء، والهوية الحضارية والثقافية والسياسية للناس... وهذه هي النقطة الثانية.

ولماذا هذا الإصرار على إعلان (الموقف) والانتماء؟

هذا هو السؤال الخطير الذي تثيره هذه الشعائر ويتطلب الجواب الصحيح.

إنّ الإصرار على إعلان (الموقف) و(الانتماء) بهذه الصورة من المتابعة، والتأكيد، والتحديد، لا يكون إلا في ظروف صراعات حضارية صعبة، لابدّ أن يتميّز فيها كل من المعسكرين المتصارعين... عندئذ لابدّ للأطراف المتقابلة في هذا الصراع أن تكشف عن هويتها، وتعلن عن انتمائها السياسي والحضاري... وإلا فسوف يمحق في هذه المعركة، ويكتسحه الطرف الآخر.

إنّ الصراع اصطفاف لمعسكرين متقابلين... وكل عنصر يدخل في هذا الصراع لابدّ أن يحدّد موقعه وصفّه من هذه المعركة، وفي غير

هذه الصورة يكتسحه ويجرفه الطرف الآخر، ولكي لا ينجرف في ساحة الصراع إلى طرف العدو، لابدّ أن يحدّد موقعه من المعركة، ويصطفّ إلى جانب المعسكر الذي ينتمي إليه، ويعلن عن انتمائه وموقعه وموقفه في تلك المعركة... وهذه قضية معروفة واضحة في المعارك العسكرية: (الاصطفاف)، (الانتماء)، ولا يختلف الأمر في الصراعات الحضارية والسياسية والثقافية عن المعارك العسكرية، ففي كلّ منهما لا بد من تحديد الانتماء، والموقف، والمواقع من المعركة، وإعلان الانتماء وإشهار الموقف.

ونحن نعيش على وجه الأرض في ساحة صراع سياسي وحضاري وثقافي... ويجب إلا تخدعنا حالة السلام العسكري أو الهدنة العسكرية عما تختزنه الساحة السياسية والحضارية من صراع ومواجهة وصدام... وإذا كانت المعارك العسكرية تقبل الحلول النصفية والترقيعية؛ لأنها حالة الحرب، فلا تقبل الصراعات السياسية الحلول النصفية.

وليس معنى هذا الكلام إننا ننفي أو نرفض (حوار الحضارات)، فإن الإسلام لا ينغلق على هذا المشروع الحضاري في بعض الحدود

المعقولة، ولكننا بصدد بيان الواقع الحضاري في حياة الناس، بعيداً عن الشعارات، وما يختزنه الواقع من صراع قاس شديد، ينتقل من جيل إلى جيل، حتى يرث الصالحون بإذن الله تعالى الأرض وما عليها، وتنتقل السيادة على وجه الأرض إلى الصالحين من عباد الله ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[1].

إنّ الصراع القائم بين فرعون وموسى عليه السلام، وبين عيسى عليه السلام وقومه، وبين رسول الله ﷺ وعتاة قريش... لم ينقطع بعد موسى وعيسى بن مريم عليهما السلام، وبعد رسول الله ﷺ، والقتال في (صفين) امتداد للقتال في (بدر).

وعلي عليه السلام وعمار رضي الله عنه وأصحاب رسول الله ﷺ، وقفوا في صفين على مواقف رسول الله ﷺ وأصحابه في (بدر)، ومعاوية وعمر بن العاص وقفوا في صفين على مواقف أبي سفيان وأبي جهل في بدر.

ومعركة الطف امتداد لمعركة (صفين).

ولم ينقطع هذا الصراع في تاريخنا، وإن اختفى الوجه العسكري لهذا الصراع.

---

(١) الأنبياء: ١٠٥.

إنّ هذا الصراع يمتد من جيل إلى جيل، ومن أرض إلى أرض. وما أصدق الكلمة المعروفة (كل أرض كربلاء، وكل يوم عاشوراء)... إنّ هذه الكلمة تعبّر عن وعي دقيق وعميق للتاريخ والصراع.

فما دام يحكم حاكم على وجه الأرض بغير حكم الله.

وما دامت حدود الله معطلة.

وما دامت الفرائض الإلهية لا تقام على وجه الأرض.

وما دام السلطان والقوة لغير دين الله.

وما دام الشرك يلوّث وجه الأرض.

وما دام الظلم يحكم عباد الله.

وما دام الاستكبار والاستضعاف يشطر الناس إلى شطرين.

وما دام الطاغوت يصدّ الناس عن دين الله، ويحمل الفساد والظلم إلى الناس...

أقول: ما دام للظلم والشرك سلطان على وجه الأرض فالصراع باق لا محالة، ولم يكن خروج الحسين عليه السلام على حكومة بني أُمية إلا تجسيداً لهذا الصراع، وتأكيداً وتعميقاً له...

ولم يكن للحسين عليه السلام دعوة ولا غاية في هذا الخروج إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ونحن اليوم في ساحة الصراع نقف عند مواقف إبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام ومواقف رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى مواقف الحسن والحسين عليهما السلام، والطغاة، والجبابرة، وأئمة الضلال والكفر وأذنابهم، يقفون على مواقف نمرود وفرعون وأبي جهل وأبي سفيان وآل أبي سفيان.

وفي هذا الاصطفاف الحضاري والسياسي لابدّ من إعلان (الموقف) وإشهار (الانتماء).

وهذا هو معنى الشعار والشعائر.

والشعائر الحسينية تقع في هذا السياق.

إذن لكي نفهم قيمة الشعائر الحسينية ودورها في حياتنا الحضارية، والسياسية، والثقافية، وضرورتها، وأهميتها التاريخية لابدّ أن نتوقف عند المفاهيم الثلاثة التالية التي تحدثنا عنها هذه المقدمة وهي:

(الشعار) و(الانتماء) و(الصراع):

الحاجة إلى الشعار والإشعار تبرز في ساحات الصراع العقائدي والعسكري غالباً، فإن الشعار: إشعار بالانتماء. ونقصد بالانتماء ما نقصده بكلمة (الولاء) في المصطلحات الإسلامية.

والشعار إشعار بالولاء، وليس هو الولاء.

وتتأكد الحاجة إليه في ساحات الصراع، لأن الإنسان يحتاج إلى أن يذكّر نفسه بولائه وانتمائه في ساحات الصراع، فإن الشعور بالانتماء والولاء يثبّت أقدام الإنسان في ساحة الصراع، ويختلف المنتمي عن اللامنتمي كثيراً في الثبات على الموقف... ولذلك يحتاج المقاتل أن يشعر نفسه ويذكّرها بولائه بصورة مستمرة، ليثبّت أقدامه على ارض المعركة.

وكان المقاتلون يحتاجون في ساحات القتال والمعارك والعسكرية إلى الشعار حتى يعرف به عدوه عن صديقه... فقد كانت صفوف المقاتلين تتشابك في القتال عندما كان القتال يجري بالسلاح الأبيض، فلكي يميّز المقاتلون خصومهم عن أصدقائهم، ومن يقاتلونه عمّن يقاتلون معه، كان يتّخذ كل معسكر لنفسه شعاراً واحداً ليتمايزوا به عندما تشتبك صفوف المقاتلين... وهذه الشعارات كانت تعبّر غالباً عن انتماء كل منهما العقائدي والقومي والوطني والديني، حسب نوع المعركة... وهكذا شاعت ظاهرة الشعارات في الحروب... هذا عن (الشعارات) في ساحة المعركة.

وأمّا (الشعائر) التي يتخذها الناس في سلوكهم الاجتماعي الديني

والحضاري فهي أيضاً نوع من التعريف بانتمائهم الديني والثقافي والحضاري في ساحة الحياة... وساحة الحياة ساحة صراع دائماً، وهذا الصراع هو صراع الولاءات... وما يحتاجه المقاتل في ساحات القتال يحتاجه في ساحات الصراع الحضارية أيضاً من الإعلان عن انتمائه وولائه، تثبيتاً لمواقفه في هذه الساحة، وتعريفاً بانتمائه وولائه.

وفي هذا البحث نتحدث إن شاء الله عن الشعائر الحسينية والشعارات الحسينية.

وحديثنا عن (الشعائر الحسينية) يخصّ ساحات الصراع العقائدي والثقافي وهي ساحات لصراع الولاءات... وهو من أضرى أنواع الصراع في حياة الإنسان.

وهذا الصراع قائم بين أنصار الحسين عليه السلام ـ على امتداد التاريخ ـ وخصومه.

ولم تنقطع المقابلة والمواجهة بين جبهة الأنصار والخصوم منذ يوم عاشوراء من سنة ٦١ هـ إلى اليوم البتة، وسوف يمتدّ ويستمر هذا الصراع، حتى يظهر من يثأر لخط الحسين عليه السلام ودعوته، آخر الزمان، وهو المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله، من أحفاد الحسين عليه السلام.

وأمّا (الشعارات الحسينية)، فسوف نتحدث عنها في فصل آخر من هذا البحث إن شاء الله.

ونقصد بها الشعارات التي كان الحسين عليه السلام وأنصاره يرفعونها في ساحة القتال للتعريف بأنفسهم ودعوتهم وانتمائهم وولائهم.

وعلى كل حال، فإنّ (الشعائر) و(الشعارات) من باب واحد، تخصّ ساحات الصراع والمواجهة، للتعريف بانتماء الإنسان وولائه في ساحة الصراع.

وعليه فسوف نتحدث عن ثلاثة مفاهيم للدخول في البحث عن (الشعائر) و(الشعارات الحسينية).

وهذه المفاهيم الثلاثة هي:

(**الصراع**) أولاً.

و(**الانتماء والولاء**) ثانياً.

و(**الشعار**) ثالثاً.

وفيما يلي إيجاز لهذه المفاهيم الثلاثة تمهيداً للدخول في هذا البحث إن شاء الله.

أولاً: حتمية الصراع

نقصد بالصراع الصراع بين الحق والباطل.

ونلخص الحق في كلمة (التوحيد)، لأن التوحيد محض الحق والحق الخالص، ونلخص الباطل في كلمة (الشرك)، لأن أعظم أمرين يرجع إليه الشرك هو: الهوى والطاغوت، وهما دعامتا الشرك، وهما محور كل فساد وشر في حياة الإنسان.

فالصراع إذن هو الصراع بين (التوحيد) و(الشرك)، وهذا الصراع هو العمود الفقري للتاريخ.

والتاريخ ليس مسلسل أحداث من نوع (ألف ليلة وليلة) حتى وان لم تكن أحداثها من نسيج الخيال، كما في ألف ليلة وليلة.

وإنما قوام التاريخ هو الصراع بين (التوحيد والشرك) وبين (الحق والباطل) وإن ضاقت مساحته، واختفى عن الرأي العام، ولم يستقطب اهتمام الناس على وجه الأرض.

ذلك أنّ التاريخ حركة الإنسان إلى الله تعالى.

وفي هذه الحركة يتكامل الفرد والمجتمع.

﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾[١].

وكل ما يسهم في حركة الإنسان إلى الله، ويقدمه إلى الله مرحلة، أو خطوة يدخل في حركة التاريخ، وما لا يدخل في هذه الحركة من جهد وعمل وصراع من (استهلاك التاريخ) وليس من حركة التاريخ وإنتاجه، وهو على هامش التاريخ، وليس من صلبه.

وحركة الإنسان إلى الله تعالى تتم من خلال مكافحة (الهوى) و(الطاغوت). وهما أهم عاملين من عوامل الشرك.

إذن التاريخ هو الصراع بين التوحيد والشرك وهذا الصراع من حتميات التاريخ.

والسبب في ذلك واضح لأن ساحة الحياة لا تتسع للتوحيد والشرك معاً. إن كلا من هاتين الحركتين (ونسميهما حركتين لان الطابع الحركي هو الطابع البارز عليهما في ساحة الصراع عندما يتقابلان في جبهتين متصارعتين)...

أقول: إن كلا من هاتين الحركتين يسعى للتمدّد على كل الساحة الثقافية والسياسية والاقتصادية، وملأ كل الفراغات. وهذا التمدّد،

(١) الانشقاق: ٦.

بطبيعة الحال يتم على حساب الحركة الأخرى، وبهذا التوجيه لا تتسع لهما ساحة الحياة.

إن (التوحيد) حركة شاملة واسعة في حياة الإنسان يسعى لكي يطبع حياة الإنسان بطابعه المتميز الخاص، ويكوّن ثقافة الإنسان ووعيه وحضارته وأعرافه وتقاليده، ويحكم حياته، ويدخل في نسيج علاقاته الاجتماعية والعائلية... ولا يتم هذا التمدّد الواسع للتوحيد في حياة الإنسان إلاّ على حساب الشرك، وعلى مواقعه ومراكزه الذي يطلبه أو يحكمه ويقيم فيه... وكذلك الأمر بالعكس.

إن الغاية التي تسعى إليه حركة التوحيد في الحياة هي تحقيق السيادة والحاكمية (التشريعية) لدين الله وشريعته في حياة الإنسان... وهذه الحاكمية تتم بطبيعة الحال على حساب سلطان الهوى والطاغوت في الحياة... ولا تتسع الحياة لسلطان الله (تشريعا) وسلطان الهوى والطاغوت.

والهوى والطاغوت كما قلنا هما دعامتان أساسيتان لحركة الشرك.

لذلك فإن الصراع صراع على الحياة والموت، وهو صراع مصيري لا ينتهي إلاّ بنهاية أحدهما، ولا يمكن المصالحة بينهما إطلاقاً.

وهذا الصراع حتمي.

ولابدّ من الإشارة إلى بعض النقاط الهامة في هذا الصراع.

١. محور الصراع

الذي يقرأ القرآن بإمعان، ويستعرض حركة الأنبياء، ومسار التاريخ في كتاب الله ويجرّد نفسه وفكره عن كل المسبقات الذهنية لا يشك للحظة واحدة أن التاريخ هو الصراع، وأن محور هذا الصراع هو المواجهة بين التوحيد والشرك.

بقي أن نقول: إن كلاًّ من التوحيد والشرك محور حضاري وثقافي يستتبع طائفة من القيم وأضداد القيم والسنن والمفاهيم والأفكار والأعمال.

ومن قيم التوحيد وأفكاره وأعرافه: الخضوع والتذلل لله تعالى، مقابل الاستكبار والعصيان والطغيان، والشكر مقابل الكفران، والزهد مقابل الجشع والطمع، والسيطرة على الشهوات والغرائز (التقوى) مقابل الخضوع لسلطان الشهوات، والإخلاص لله ونكران الذات في مقابل الأنانية، والرقة مقابل القسوة، والتحرر من الشهوات مقابل الخضوع لسلطان الشهوات، والتوازن والموازنة في مقابل الإفراط والتفريط.

وإذا وجدنا (قيماً) في جناح الشرك فهي ليست من نتائج الشرك وإنما هي من بقايا فطرة التوحيد في نفس الإنسان.

ذلك أن القيم دائماً في جبهة التوحيد، وإذا وجد ضدها في هذه الجبهة فقد تسلل من جبهة الشرك إليها والعكس كذلك صحيح. فلا يكاد ينتج من الهوى والطاغوت إلاّ الظلم والمنكرات والقبائح وسائر أضداد القيم.

إن التوحيد ثقافة وقوة، ونظام اجتماعي، وعلاقات، وكذلك الشرك ثقافة، وقوة، ونظام اجتماعي، وعلاقات، فلا محالة يتزاحمان على مواقع الحياة الاجتماعية والسياسية والإعلامية والمالية، ويتصارعان.

٢. التاريخ هو الصراع

إن الذي ينعم النظر في القرآن ينتهي إلى نتيجة لا يشك فيها، وهي أن التاريخ في القرآن، هو الصراع في طريق الحركة إلى الله، بين الحركة الصاعدة إلى الله، والحركات المعيقة للإنسان عن هذا الصعود.

والذي نجده في القرآن من التاريخ، في سياق هذا الصراع مباشرة، أو بصورة غير مباشرة.

وما عدا ذلك من أحداث التاريخ وعلى هامش التاريخ.

وقد يحتل هذا الهامش مساحة واسعة من حديث الناس واهتمامهم، ومن اهتمام وكالات الأنباء والصحافة في عصرنا، ولكن رغم ذلك كله يبقى على هامش التاريخ، كما تستقطب لعبة كرة القدم اهتمام الناس جميعاً وتشدّهم إليها، إلاّ أنها تبقى على الهامش. وقد لا يستقطب الحدث اهتمام الناس كثيراً، ولكنه يدخل في صلب التاريخ.

فقد حدثت معركة بدر في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة بين المسلمين والمشركين، ونصر الله المسلمين على المشركين في تلك المعركة... حدثت هذه المعركة في رقعة نائية من الصحراء، ولم ينتبه الناس يومئذٍ على وجه الأرض إلى هذه المعركة ونتائجها، ولكنها دخلت صلب التاريخ، وقررت مصير الحضارة الإنسانية... وفي نفس الوقت تقريباً حدثت معركة أخرى بين الروم والفرس (القوتان الكبريان في الأرض حينئذ)، وانتصر الروم على الفرس، وقد استقطبت هذه المعركة اهتمام الناس كثيراً في ذلك الوقت، فقد كان حدثاً كبيراً جداً في حساب معادلات القوى يومئذٍ على وجه الأرض.

ولكن هذا الحدث الثاني، رغم استقطابه لاهتمام الناس لا يدخل في صلب التاريخ.

إن معركة بدر تقرّر التاريخ، وتدخل في صلب التاريخ، ولم يكد يشعر بها إلاّ قلة من الناس في الجزيرة يومئذ. أمّا هذه المعركة الكبرى بين قوتين عملاقتين على وجه الأرض، فلا يحلّ في التصور القرآني إلاّ على هامش التاريخ.

يقول تعالى: ﴿**ألم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾[1].

لقد انتصر الفرس على الروم، والمسلمون يومئذ بمكة فسُرّ المشركون بذلك، لأن الروم كانوا ينتحلون المسيحية، ولم يكن الفرس ينتحلون هذا الدين.

فأخبرهم الله تعالى أن الروم سيغلبون الفرس بعد هذه المعركة في بضع سنين وهذه واحدة من أخبار القرآن الغيبية التي تحققت بعد ذلك.

ثم يخبرهم الله أن انتصار الروم على الفرس يقترن بفرحة المؤمنين

(١) الروم: ١ ـ ٥.

يومئذٍ بنصر الله تعالى لهم ﴿**وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ**﴾.

ولقد اقترن انتصار الروم على الفرس بانتصار المسلمين على المشركين ببدر... وهذا إخبار غيبي آخر من أخبار القرآن الغيبية.

أقول: إن الحدث الأول في هذا الاقتران وهو انتصار الروم على الفرس استقطب يومئذٍ كل اهتمام الناس، بينما الحدث الثاني المقارن للحدث الأول وهو انتصار المسلمين على المشركين ببدر لم يثر انتباه الناس إلاّ في دائرة محدودة جداً.

ورغم ذلك يدخل الحدث الثاني في صلب التاريخ، ويبقى الحدث الأول على هامش التاريخ، في التصور القرآني وفي واقع التاريخ.

ونحن عندما نقرأ القرآن لا نتوقف كثيراً في أن نقول أن التاريخ في التصور القرآني هو الصراع.

وإليك نماذج من هذه الآيات:

يقول تعالى: ﴿**وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ**

﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1].

وفي سورة الحج:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

في آيتي البقرة والحج، يتقرر التاريخ من خلال الصراع. فلولا الصراع لا يمكن إزالة الباطل عن مواقعه، ولولا الصراع لركن المؤمنون إلى الدعة وحياة اليسر والعافية، فلم يقدروا على الدفاع عن الصلوات والمساجد التي يذكر فيها اسم الله، وضعفوا عن الدعوة والعمل لبسط التوحيد على وجه الأرض[3].

(١) البقرة: ٢٥٠ ـ ٢٥١.

(٢) الحج: ٣٩ ـ ٤٠.

(٣) في رحاب القرآن: ٥: ١٤٧ ـ ١٤٨.

٣. عمق الصراع

إن الصراع بين جبهة التوحيد وجبهة الشرك صراع بين القيم وأضداد القيم، وبين الأخلاق واللاّأخلاق، وبين العروج الإنساني والسقوط الإنساني.

لقد سمع الناس يوم عاشوراء للحسين عليه السلام خطاباً عجيباً، يدخل في صلب حديثنا هذا.

يقول عليه السلام لهم: «**إن لم يكن لكم دين... فكونوا أحراراً في دنياكم**»[1].

ومعنى هذا الخطاب: إنكم إذا تحولتم عن دين الله وتخليتم عنه، فلا تتخلوا عن القيم التي أودعها الله تعالى في أنفسكم، لأن الطاغوت لا يفسد دين الناس فقط، وإنما يفسد قيمهم وأخلاقهم وفطرتهم وضمائرهم أيضا.

فالصراع إذن بين هذين المحورين صراع حضاري، صراع على القيم والأفكار والمفاهيم، لا يقبل المصالحة والحلول النصفية وليس صراعاً على آبار من النفط، أو مساحة من الأرض، أو نهر من الماء. ليتأتى لهم المصالحة والوصول إلى حلول وسطيّة.

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٥١.

٤. شمولية الصراع وحتميته

وهذا الصراع بالضرورة صراع شامل حتمي يشمل كل المساحة التاريخية وكل المساحة الجغرافية.

كل التاريخ وكل الجغرافية السياسية للأرض، أعني كل زمان ومكان. والزمان والمكان وعاءان في المفهوم الفلسفي، وهما وعاءان للحركة في المفهوم الحضاري ومقومان للحركة.

وهذا الصراع قائم في كل زمان ومكان، لأن الصراع بين الحق والباطل قائم في كل زمان ومكان، كما أن الدعوة إلى التوحيد والحق قائمة في كل زمان ومكان، ومهمة الهوى والطاغوت إعاقة حركة التوحيد والحق في كل زمان ومكان.

وهذا هو معنى شمولية الصراع الوارد في الكلمة المعروفة (كل ارض كربلاء وكل يوم عاشوراء).

فالزمان: (كل يوم) والمكان: (كل أرض) أكثر من وعائين لحضارة الإنسان... إنهما وعاءان لحضارة الإنسان، ومقومان لها أيضا، يتفاعلان مع الإنسان، ويمنحانه ويأخذان منه. والإنسان في تفاعل مستمر مع الزمان والمكان، يأخذ منهما ويمنحهما ويؤثر فيهما ويتأثر بهما.

وعندما نقول: (كل أرض كربلاء، وكل يوم عاشوراء) يعني: أن الصراع جزء حتمي لا يتجزأ من حضارة الإنسان. وهذا الصراع يمتد زماناً ومكاناً مع حضارة الإنسان[١].

(١) في رحاب عاشوراء: ٢٣ ـ ٢٤.

ثانياً: الانتماء

نقصد بالانتماء الانتماء الحضاري والحركي والسياسي، وهو ما يسميه القرآن بـ (الولاء).

يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[1].

والذين ينتمون إلى ولاء واحد يشكّلون نسيجاً حضارياً وسياسياً وحركياً واحداً، لا اختلاف بين أجزائه.

ولا علاقة لهذا النسيج بالنسب والدم واللغة والعرق. فقد نفى الله تعالى ابن نوح من نوح وقال: ﴿**إنّه ليس من أهلك**﴾[2]، وهو ابنه من لحمه ودمه..

وأضاف رسول الله ﷺ الصحابي الجليل سلمان رضي الله عنه إلى أهل بيته، فقال ﷺ: «**سلمان منّا أهل البيت**»[3]، وهو فارسي من أصل مجوسي.

والانتماء والولاء، يشطران الناس شطرين اثنين: (شطر الولاء

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) هود: ٤٦.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق ١: ٧٠.

والانتماء، وشطر البراءة والمقاطعة).

ولا تحتمل ساحة الولاء شطراً ثالثاً، فإذا لم يكن الإنسان مع الله ورسوله والمؤمنين، فهو لا محالة مع أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء المؤمنين، كما قال العبد الصالح نوح عليه السلام لابنه: ﴿ **يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ**﴾[1] [2]. فمن لم يركب السفينة مع نوح عليه السلام وأتباعه... لا محالة يكون مع الكافرين.

والولاء في الإسلام من مقولة (التوحيد)، وعندما تتعدد محاور الارتباط في حياة الإنسان ينتفي الولاء رأساً.

فليس كل ارتباط في حياة الإنسان من الولاء الحق، وإنما الولاء الحق هو الارتباط النابع من القلب الحاكم على كل صلات الإنسان وعلاقاته[3].

إن الانتماء من ضرورات ساحة الصراع في كل صراع حضاري بين التوحيد والشرك. والناس لا خيار لهم في ساحة الصراع بين الانتماء واللاّانتماء، وإنما خيارهم بين شقّي الانتماء، أي الانتماء إلى

(١) هود: ٤٢.

(٢) في رحاب القرآن: ٥: ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٣) في رحاب القرآن: ٣: ٣٣٠.

جبهة الحق أو الباطل.

وكل إنسان يستطيع أن يختار إحدى الجبهتين هذه أو تلك، ولكن لا يستطيع أن يقف موقف اللامنتمي من ساحة الصراع، إنّه عندما يقف على حافة الصراع بين الحق والباطل لا يملك إلاّ واحداً من خيارين، وهو الانتماء إلى الحق أو إلى الباطل.

ومعنى ذلك أن المواقع الحضارية والسياسية على ساحة الصراع موقعان: الولاء لله أو للطاغوت، وليس ثلاث مواقع.

وأما المواقع في ساحات الصراع والتنافس غير الحضارية فهي ثلاثة: فعندما تحدث مشكلة بين دولتين، لك أن تنحاز إلى جانب الدولة الأولى أو الثانية، ولك أن لا تقف مع هذا ولا ذاك، فتكون محايداً.

ولكن في ساحة الصراع الحضاري تكون المواقع اثنتان: الانتماء إلى جبهة الحق أو الباطل، وليس من ثالث.

والسبب في ذلك أن الله تعالى وهو المحور الأول في هذا الصراع يطلب من الناس جميعاً الانتماء والنصرة، ويدعوهم إلى النصرة، والانتماء، والولاء، وشدّ حبلهم بحبل الله تعالى.

وهذا الارتباط والانتماء هو الذي يعصم الإنسان في ساحة الصراع من سلطان الهوى والطاغوت، ويحصّنه منهما، فإذا قطع ما بينه وبين الله من الولاء والانتماء وقع في شرك الشيطان وأسر الطاغوت والهوى لا محالة.

يقول تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾[1] وحبل الله ليس فقط محور للانتماء إلى الله، وإنما هو عاصم من الانتماء إلى جبهة الباطل أيضا. يحصّن الإنسان من الانتماء إلى الطاغوت والهوى.

والإنسان الذي ينتمي إلى ولاء الله يحصّنه الله ويحميه.

وولاء الله في حياة الإنسان موقع حصين.

وقد ورد في الحديث القدسي الصحيح: «**لا إله إلاّ الله حصني**»[2].

والإنسان الذي لا ينتمي إلى هذا الحصن ويعيش في الموقع الوسط... مكشوف للعدو لا محالة، لأن الموقع الوسط (موقع اللاّمنتمي) موقع مكشوف، ومعرّض لسطو الطاغوت والهوى والشيطان.

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) حديث سلسلة الذهب، عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق ١: ١٤٤.

ومن خلال هذه المعادلة نقول:

إن اللاّمنتمي إلى الله ينتمي إلى الطاغوت لا محالة، فإنه لا يوجد موقع وسط بين الانتماء إلى الله والانتماء إلى الطاغوت، وإنما هما موقعان وليس ثلاثة على الخارطة السياسية بين الحق والباطل.

والى هذا المعنى يشير الإمام الحسين عليه السلام في خطبته الثانية يوم عاشوراء أمام جمهور جيش ابن سعد:

«سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها[1] على عدونا وعدوكم، فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم»[2].

وما أروع تعبير الإمام وأصدقه بهذا الصدد: (سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم). هذا السيف الذي كان بأيدي الناس في كربلاء يقاتلون به الحسين عليه السلام كان للإسلام وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله. أعطاهم هذا السيف وهذه القوة، بعد أن كانوا أمة ضعيفة مستضعفة في قلب الصحراء، لا تكاد تجد في حياتها حركة أو عزماً أو قوة على المواجهة، فاستثار

(١) أي: أوقدتم علينا ناراً كنا قد اقتدحناها واستخرجناها نحن على عدوّنا وعدوّكم.

(٢) مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق المقرم: ٢٦٢، ط. النجف ١٣٧٦هـ

الإسلام كوامن الحركة، والقوة والعزم والانطلاق والبناء في نفوس هؤلاء الناس، واستخرج الإسلام كنوز القدرة والحركة والثورة في نفوسهم.

وتحولت هذه الأمة الراكدة إلى حركة حضارية جبارة على وجه الأرض وفي التاريخ، تحرق الجبابرة والطغاة[1].

هذا السيف الذي أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وآله ليقاتلوا به أعداء البشرية وطغاتها: كسرى وقيصر وأبا سفيان، وأبا جهل وأقطاب الجاهلية، تحول من قتال آل أبي سفيان إلى قتال آل رسول الله صلى الله عليه وآله وابنه.

يا ترى كيف حصلت هذه الانتكاسة الكبيرة في مسيرة الرسالة؟

هذا هو السؤال؟

وهذا هو ما يشير إليه الإمام في خطابه لجيش بني أمية يوم عاشوراء.

(سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم... فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم) يعني: لم يتحول السيف فقط من قتال أعداء الله إلى قتال أولياء الله، وإنما انقلب نسيجكم إلى نسيج آل أبي سفيان، فأصبحتم

(١) وارث الأنبياء: ٢١٤.

من ذلك النسيج إلباً لأعدائكم على أوليائكم. دون أن يتغير شيء منهم، أي دون أن يتحول آل أبي سفيان من مواقعهم إلى مواقعكم، وإنما أنتم الذين تحولتم من مواقعكم إلى مواقعهم. فالانقلاب في السيوف حصل نتيجة للانقلاب في المواقع السياسية والحضارية.

ولماذا هذا الانقلاب في السيوف وفي المواقع؟

هذا هو السؤال الخطير.

والجواب يكمن في موقع اللاإنتماء من ساحة الصراع بين الحق والباطل.

في ساحة الصراع إتخذ بعض الناس سياسة اللامنتمي، وقالوا نحن نعتزل المعركة ما دامت المعركة بين المسلمين.

وهذه سياسة الاعتزال التي سلكها عبد الله بن عمر وغيره قادته أخيراً إلى بيعة يزيد والحجاج.

ولم يكن عبد الله ليملك القوة والجرأة الكافية التي تمكنه من اتخاذ موقف قوي تجاه البيعة ليزيد، فقد كان أمر يزيد في ظلمه واستهتاره بحدود الله، وفسقه وشربه، أشهر من أن يخفى على أحد، وما كان أولى بابن عمر أن يردّ معاوية عن هذا الأمر ويعلن امتناعه عن

البيعة ليزيد بما يعرفه عامة الناس من يزيد من فسوق وفجور.

هؤلاء رفعوا شعار: (إذا ظهرت الفتنة فالجالس خيرٌ من القائم، والمضطجع خير من الجالس)، فغمدوا سيوفهم في صفين والجمل والنهروان، وفي قتال الحسن عليه السلام ومعاوية، ثم انقلبت هذه السيوف التي غمدوها أيام علي والحسن عليهما السلام إلى جانب بني أميّة في وجه الحسين عليه السلام، بعد هلاك معاوية وفي ولاية يزيد.

ثم يقول عليه السلام في نفس الخطاب:

(فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم).

أرأيتم كيف ينقلب اللاّمنتمي إلى المنتمي؟ لقد قلنا قبل قليل: ليس لنا ثلاثة مواقع على خارطة الصراع بين الحق والباطل وإنما هما موقعان؟

ووقعة الطف واحدة من الأحداث الكبرى التي لا تسمح لأحد بأن يتردد طويلاً، ويقف موقف المتردد والشاك، أو المتفرج الذي لا يعنيه الأمر... فمن لم يقف مع الحسين عليه السلام يوم الطف بسيفه وعواطفه وأحاسيسه وولائه... كان مع يزيد لا محالة.

والبراءة واللعن لا يخصّ فقط أولئك الذين قاتلوا الحسين عليه السلام أو

أمروا بقتله يوم الطف، وإنما يعمّ أيضا الذين سمعوا بمصرع الحسين (عليه السلام) ورضوا به. هكذا ورد في زيارة وارث (**فلعن الله أمة قتلتك، ولعن الله أمة ظلمتك، ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به**)...

ونضيف هنا ونقول: إن الذين سمعوا، ولم يثوروا، ولم يقفوا مع الحسين (عليه السلام)، انجرّوا لا محالة إلى موقع الرضا بما فعله بنو أمية، وموقع الرضا من مواقع اللعن والبراءة.

الطوائف الملعونة في زيارة وارث

وهذا اللعن يشمل ثلاث طوائف:

١ـ الطائفة المباشرة للقتال.

٢ـ الطائفة غير المباشرة الداعمة للقتال.

وهي الطائفة التي ظلمت الحسين (عليه السلام) وجارت عليه ومكّنت منه، وشايعت، وبايعت، وظاهرت عليه، وخالفته... وحالفت أعداءه.

وهذه الطائفة تشمل كل أولئك الذين أعَدُّوا لقتال الحسين (عليه السلام) أو مكّنوا منه، أو خالفوه، أو ظاهروا عليه، أو ساهموا في الإعداد لقتله، أو أعانوا الطاغية في قتاله، بنحو من الأنحاء، وتشمل أشياع هؤلاء جميعاً وأتباعهم.

وقد ورد اللعن والبراءة عن هذه الطائفة، (وهي طائفة واسعة) بصيغ مختلفة في زيارات الحسين (عليه السلام)، ففي زيارة عاشوراء المخصوصة:

(**لعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم، وأزالتكم عن مراتبكم التي رتّبكم الله فيها... ولعن الله الممهّدين لهم بالتمكين من قتالكم، برئت إلى الله وإليكم منهم ومن أشياعهم وأتباعهم**).

٣ـ الطائفة المتفرجة على القتال، الراضية بما جرى على أبن رسول الله ﷺ، وهي التي سمعت بذلك فرضيت به.

وهذه الطائفة تستوقف الإنسان طويلاً، فمن هم أولئك الذين سمعوا بذلك فرضوا به؟

إن هذه الطائفة ليست بالتأكيد مشاركة في القتال، ولا هي مشاركة في ممارسة الظلم بصورة عملية، وإلا لكانت تدخل ضمن الطائفة الأولى والثانية، ولم يكن من موجب لأفرادها بالذكر ثالثاً، فهذه الطائفة لابدّ وان تكون ـ إذن ـ ممن سمعوا إستنصار الحسين (عليه السلام) ولم ينصروه، وآثروا العافية على الوقوف بجانب سيد الشهداء (عليه السلام) في معركة الطف، وخذلوا سيد الشهداء (عليه السلام) ولم ينصروه يوم عاشوراء...

وقد ذكرت هذه الطائفة في نصوص أخرى للزيارة بصيغ مختلفة، كلها تَصُبّ في معنى التخاذل عن نصرة أبي عبد الله عليه السلام والتقاعس عن الالتحاق به، وإيثار العافية على الوقوف إلى جانب سيد الشهداء عليه السلام، فقد ورد في الزيارة المطلقة الثانية:

(**لعن الله أمة قتلتكم وأمة خالفتكم، وأمة جحدت ولايتكم، وأمة ظاهرت عليكم، وأمة شهدت ولم تستشهد**)[١].

وهذه هي مساحة البراءة واللعن وهي مساحة واسعة جداً في الماضي والحاضر لأن الطائفة الثالثة تشمل كل الناس في كل العصور، ولا يبقى خارج المساحة إلاّ المنتمي إلى جهة التوحيد.

وهذا هو معنى حتمية الانتماء، أن الإنسان لا يمكن أن يعيش من دون انتماء في ساحة الصراع بين الحق والباطل.

(١) في رحاب القرآن: ١٢: ٢٢٠ ـ ٢٢١.

ثالثاً: الشعار

قلنا أن الشعار بمعنى الإشعار أي الإعلام، إعلام الموقف وإعلان الانتماء.

والإشعار بالموقف من ضرورات الانتماء والموقف، فلا ينجح موقف بدون إعلان، إلاّ في ظروف التقية، ولا يجوز أن يتكتمّ الإنسان على انتمائه إلاّ إذا اقتضت ذلك مصلحة الانتماء نفسه، وهذا هو التقية، وهي التكتم وإخفاء الموقف لمصلحة نفس الانتماء.

والصراع بين الحق والباطل عميق، وواسع، وشامل، وجذري، ولا يمكن أن يتم من دون إعلام وإعلان وإشهار.

إن هذا الصراع دائم وشامل، ولا يختص بمكان دون مكان، وزمان، دون زمان حتى يمكن إخفاؤه في زمان دون زمان آخر.

والإعلام جزء من الصراع، والمعترك معترك الانتماء والإعلان للانتماء.

ونحن علينا أن نعلن عن ارتباطنا وولائنا وانتمائنا على كل حال.

وهذا الإعلان والإشعار يتم (بالشعار) في ساحة المعركة. عندما يشتبك الصفّان يتمايز الطرفان بالشعار، فقد كانت الحروب سابقا

بالسلاح البارد، فإذا اشتبك الطرفان بالقتال، فلا يكاد يميز المقاتل عدوه، فيتمايزان بالشعارات.

إن ساحة الصراع ساحة متشابكة متداخلة والشعار هو الذي يميز الناس بعضهم عن بعض.

إن الشعار يدعم نفوس المقاتلين ويحصّنهم من الهزيمة النفسية، ويمنحهم مناعة ضد الهزيمة النفسية، ولذلك يقول تعالى:

﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[1].

والتقوى الحصانة والمناعة من الانزلاق.

والشعار يكشف عن مساحة الانتماء والولاء والانصهار.

فإنّ إقامة صلاة الجمعة في البيوت عبادة، وليست شعاراً، ولكن إقامتها في المساجد عبادة وشعار، وهذا الشعار يُرهب العدو ويخيفه، وفي نفس الوقت يدعم نفوس الأنصار وأولياء الله.

وبعد مرحلة التقية السياسية تأتي مرحلة الشعار والإعلان مباشرة، فإننا في التقية نحافظ على النبتة الناشئة حتى لا يقتلعها العدو، وبعد ذلك يأتي دور الإعلان والإشهار حتى تنمو وتتكامل.

---

(١) الحج: ٣٢.

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[1].

وإقامة الصلاة إعلان للصلاة وإبراز لها،كما ورد في زيارة الحسين عليه السلام: (**أشهد أنك قد أقمت الصلاة**).

وعليه، فلابدّ من إعلان الانتماء وإشهاره، وهذه اللابدّية جزء من لابدّية الانتماء وحتمية الصراع.

وكما يجب الانتماء يجب الإعلان عنه.

الصراع بين القيم وأضداد القيم في عاشوراء

إن عاشوراء نموذج ممثل لكل صراع في التاريخ بين التوحيد والشرك وبين الحق والباطل.

فقد كانت معركة كربلاء على صغر مساحتها العسكرية تُجَسدُ صراعاً ضخماً بين معسكرين، وحضارتين، وفكرتين، ومدرستين بين الإسلام والجاهلية.

وللصراع بين الحق والباطل سنن وقوانين.

---

(١) لقمان: ٤.

وعاشوراء يختزل كل هذه القوانين والقيم.

في يوم عاشوراء، وفي ساعاته المحدودة تتجلى كل هذه القوانين والقيم، يتقابل في هذا الصراع طرفان أحدهما حق خالص وتوحيد خالص، والآخر باطل خالص، أحدهما يُجَسدُ الإخلاص خالصاً، والآخر يجسد الهوى والطغيان خالصاً.

عاشوراء نموذج نادر من الصراع الحضاري الذي تتجسد فيها سنن التاريخ بشكل قوي ومركّز، وعيّنة ممثلة لمساحة التاريخ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى، ومرآة صافية لحركة التاريخ... يجد فيها الإنسان الصراع القديم بين جند الله وجند الشيطان، وأسباب وموجبات هذا الصراع، وقيم كل من طرفي المواجهة، وأساليبهم في هذا الصراع، وحتمية هذا الصراع، ومعاناة طرفي الصراع في هذه المعركة التاريخية، وما يستتبع هذا الصراع من سقوط، وثبات، وولادة وهلاك، واستبدال، واستدراج، وتساقط العناصر الضعيفة، وصعود وتسامي العناصر القوية المؤمنة، ونصر الله للفئة القليلة المؤمنة، وهلاك جند الشيطان... كل ذلك ينعكس في مرآة عاشوراء... في هذه الساعات القليلة الحافلة بالأحداث الكبيرة من يوم عاشوراء... والجمهور من

المؤمنين يقرأون كل ذلك وغير ذلك من قوانين وسنن التاريخ والمجتمع والصراع في مرآة عاشوراء[1].

وفي عاشوراء يتقابل طرفان، طرف منه يمثل التوحيد الخالص، والإخلاص الخالص فنسمع منه في يوم عاشوراء:

إن كان دين محمد لا يستقم ... إلاّ بقتلي يا سيوف خذيني

ويقول:

إن تقطعوا ببغيكم يميني ... إني أحامي أبداً عن ديني

ونسمع الطرف الآخر الذي يمثل الباطل الخالص يقول مخاطباً للأمير ابن زياد في الكوفة:

إملأ ركابي فضة أو ذهبا ... إني قتلت السيد المهذبا

قتلت خير الناس أماً وأبا

ويقول:

أأترك ملك الري والري منيتي ... أم اصبح مأثوماً بقتل حسين

أحد الطرفين يطلب دين الله والدفاع عنه وإسناده والذبّ عنه،

(١) في رحاب عاشوراء: ١٩ ـ ٢٠.

والطرف الآخر يطلب الذهب والفضة وملك الري، وشتّان بينهما.

ونسمع يزيد يقول:

قد قتلنا القرم من ساداتهم   وعدلناها ببدر فاعتدل

ولو كان هذا الطائش المغرور يعلم أن عاشوراء تجديد واستمرار لبدر، عودة جديدة لبدر لقال غير ذلك.

هذان طرفان مختلفان تماماً من جهة المفاهيم والقيم، يُجسّدُ أحدهما في سلوكه وقتاله أسمى القيم وأنبلها حتى في القتال، ويجسد الطرف الآخر أحطّ ألوان السلوك في ابتغاء الدنيا وفي الإجرام.

إن التقابل العجيب بين هاتين الفئتين اللتين تقاتلا في كربلاء وبين أهدافهما يعتبر واحداً من أغرب نماذج الصراع بين الحق والباطل في التاريخ[1].

وهذا الصراع يتضمن كل قوانين وقيم المعارك السابقة، ولذلك اصبح الحسين (عليه السلام) وارث كل الأنبياء (عليهم السلام) وكل الشهداء، والمعارك التي تأتي من بعد الحسين (عليه السلام) امتداد لتلك المعركة، كما أن القتلة ورثوا كل خصال الظالمين والجلاوزة من قبلهم.

(١) في رحاب عاشوراء: ٢٢.

عاشوراء النموذج الممثل للتاريخ

ولا بد من توضيح لكلمة (النموذج الممثّل) الذي وصفنا به عاشوراء فنقول:

إن عاشوراء مرآة لكل حركة التاريخ، وامتداد للصراع القائم بين الحق والباطل في التاريخ.

والعكس أيضا صحيح، فإن كل صراع في التاريخ بين الدعاة إلى الله وأولياء الطاغوت نسخة من عاشوراء على درجات مختلفة من التمثيل وهذا هو معنى الكلمة المأثورة الدقيقة المعروفة: (كل ارض، كربلاء، وكل يوم، عاشوراء).

ففي كل ارض وفي كل يوم صراع بين الحق والباطل، بموجب قانون حتمية الصراع بين أولياء الله، وأولياء الطاغوت، ولا تخلو أرض من هذا الصراع، ولا يخلو يوم من أيام التاريخ منه.

وكل صراع في هذه السلسلة الطويلة من الصراعات والحروب والقتال يعتبر تمثيلاً لـ (كربلاء) ولـ (عاشوراء) على درجات مختلفة من التمثيل، حسب سعة وعمق هذا الصراع، وأبعاده في حياة الإنسان[1].

(١) في رحاب عاشوراء: ٢٣.

وبذلك فإن كربلاء رمز للصراع بين الحق والباطل.

والانتماء إلى الرمز يعني الانتماء إلى كل جبهة الحق فإن الحسين عليه السلام وارث الأنبياء.

والشعائر الحسينية هي تعبير عن هذا الانتماء إلى جبهة الحق وجبهة التوحيد.

ووسائل التعبير مختلفة مثل الزيارات والاحتفالات وإقامة مجالس العزاء والنياحة والهيئات الحسينية والمواكب الحسينية...تأتي في هذا السياق.

وهي في نفس الوقت تعبير عن تبني قيم التوحيد وإباء الضيم ورفض الظلم.

قيمة الشعائر الحسينية

منذ حادث الطف إلى اليوم الحاضر كان لحضور الجماهير دور فاعل في إحياء حادث الطف.

ولولا حضور الجماهير واهتمامهم بإحياء عاشوراء لتعرّضت معطيات الطف إلى النسيان والإهمال.

وهذا ما نراه فعلاً في حيوية (عاشوراء)، في وجدان جمهور

المسلمين وعواطفهم، وتفاعل الجمهور الواسع والعميق مع عاشوراء خلال هذه الفترة الطويلة، والتي تزيد على ثلاثة عشر قرن من الزمان، وعلى هذه المساحة الواسعة من الأرض، وهذا أمر فوق العادة بالتأكيد... ولا ينبغي أن نمرّ عليه مروراً سريعاً من دون وقفة تأمل وتفكير.

ولا نعرف نحن إلى الآن حدثاً يستقطب عواطف جماهير المسلمين بهذه الصورة من القوة والفاعلية كعاشوراء، ولا نعرف أمراً في حياة المسلمين يستقطب الجماهير، ويجمعهم تجمعاً غفيراً بهذه الصورة الواسعة والقوية إلاّ الحج[1]...

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«**إن لقتل الحسين عليه السلام حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً**»[2].

ولذلك حرص بنو أمية والحكام الذين تعاقبوا بعد بني أمية، على القضاء على ذكرى وقعة الطف قضاءً تاماً.

ولأمر مّا كان يحسّ السلاطين والملوك أن في مظاهر الحزن

---

(١) في رحاب عاشوراء: ١١.

(٢) مستدرك الوسائل ٢: ٢١٧.

والحداد على الإمام الشهيد شيئاً يضرهم، ويسيء إلى سلطانهم وملكهم، وكانوا يواجهون الجمهور الحسيني بالجفاء والإنكار، وأحياناً بالإرهاب والمطاردة، تماماً، كما كان الجمهور يشعر أن في قضية الحسين عليه السلام شيئاً يرتبط بمصيره ومصير الإسلام...

والتاريخ يشهد أن تطويق حادث الطف كان من أهم أهداف بني أمية بعد مقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

وحضور الجماهير الفاعل ومشاركتهم القوية في إحياء ذكرى عاشوراء كان هو السبب الأقوى والاهم في إفشال كل المخططات الأموية لإحباط ذكرى عاشوراء ودوره الحركي في تحريك المسلمين.

ونحن نجد في التاريخ منذ العصر الأموي وعبر العصر العباسي إلى اليوم الكثير من الأمثلة على تنكّر السلاطين وامتعاضهم من إقبال الجمهور على زيارة الحسين والتعاطف مع قضية الحسين عليه السلام حتى بلغ الأمر أن هارون الرشيد أمر بهدم القبر الشريف وكربه[1] كما أمر

(١) تاريخ النياحة على الإمام الشهيد للسيد صالح الشهرستاني: ٢: ١٢، نقلاً عن نزهة أهل الحرمين للسيد حسن الصدر الكاظمي: ٢٧.

المتوكل العباسي بهدم القبر وما حوله من المنازل والدور، وأن يبذر ويسقي موضع القبر ويمنع الناس من الزيارة[1]... ومع كل هذه الضغوط السياسية والإرهاب الذي كان يمارسه السلاطين بشأن قضية الحسين عليه السلام وعاشوراء فإن عاشوراء لا تزال تتفاعل مع عواطف الجماهير ومشاعرهم في حركة تصاعدية[2].

فقد امتزجت عاشوراء بفعل الشعائر الحسينية بمشاعر المسلمين وعواطفهم وأحاسيسهم، وأصبح عاشوراء جزءاً لا يتجزأ من عواطف ومشاعر جماهير المسلمين الموالين لأهل البيت عليهم السلام من السنة والشيعة، وحتى من غير المسلمين الذين تأثروا بثورة الحسين عليه السلام وحركته.

الدور المزدوج للشعائر الحسينية

للشعائر الحسينية دور مزدوج بالغ الأهمية، فهي أولاً وسائل للتعبير عن حالة إنشداد الجمهور بعاشوراء، وارتباطهم العاطفي بهذا الحدث الهام الذي يعتبر من أهم أحداث التاريخ الإسلامي.

والشعائر تؤدي ثانياً دوراً فاعلاً في إذكاء جذوة الثورة والتحريك

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٧٠.

(٢) في رحاب عاشوراء: ١١ ـ ١٢.

لذكرى هذا اليوم الحساس في تاريخ المسلمين.

وبذلك فإن للشعائر الحسينية دور (التعبير) عن عواطف الجمهور، ودور (التفعيل) للحالة الثورية والحركية لهذا اليوم الخطير في تاريخ الإسلام.

ولا أعرف يوماً آخر في تاريخ الإسلام يستقطب عواطف الجمهور بقوة، ويفعّل في نفوسهم الحالة الحركية والعاطفية كهذا اليوم.

ولا شك أن لهذه الشعائر قيمة كبيرة في كل ذلك.

اهتمام أهل البيت عليهم السلام بالشعائر الحسينية

وقد كان أهل البيت عليهم السلام يعطون اهتماماً كبيراً لإقامة الشعائر الحسينية.

يقول بشير بن حذلم: لما قربنا من المدينة في العودة من الشام نزل علي بن الحسين عليه السلام وحطّ رحله وضرب فسطاطه، وأنزل نساءه وقال: يا بشير، رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله إني لشاعر.

فقال عليه السلام: أدخل المدينة وانع أبا عبد الله عليه السلام.

قال بشير: فركبت فرسي حتى دخلت المدينة فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله رفعت صوتي بالبكاء، وأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها   قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرّج   والرأس منه على القناة يُدار

وقلت: هذا علي بن الحسين عليه السلام مع عماته وأخواته قد حلّوا بساحتكم، وأنا رسوله إليكم أعرّفكم مكانه، فخرج الناس يهرعون ولم تبق مخدّرة إلاّ برزت تدعو بالويل والثبور وضجّت المدينة

بالبكاء فلم يُرَ باكياً أكثر من ذلك اليوم[1].

وكان أهل البيت عليهم السلام يؤكدون على زيارة الحسين عليه السلام في مناسبات مختلفة.

وكان الإمام الصادق عليه السلام يدعو في سجوده الذي يرويه معاوية بن وهب لزوار قبر جده الحسين عليه السلام ويقول:

«**اللهم يا من خصّنا بالكرامة، اغفر لي ولإخواني وزوار قبر جدي الحسين عليه السلام، الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم، رغبة في برّنا، ورجاءً لما عندك في صلتنا.**

اللهم إن أعدائنا عابوا عليهم خروجهم إلينا، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا.

اللهم ارحم تلك الوجوه التي غيرّتها الشمس.

اللهم ارحم تلك الخدود التي تقلّبت على حفرة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا»[2].

(١) اللهوف لابن طاووس: ١١٦.

(٢) كامل الزيارة لابن قولويه: ١١٦.

وكان الإمام الباقر عليه السلام يحضّ المؤمنين على إقامة مجالس عزاء الحسين في (منى) أيام التشريق، حيث يجتمع المسلمون من أقطار الأرض ليسمعهم مصيبة الحسين عليه السلام وفاجعة عاشوراء[1].

وقال الصادق عليه السلام لحمّاد:

«**بلغني أن أناساً من أهل الكوفة وقوماً آخرين من نواحيها يأتون قبر أبي عبد الله في النصف من شعبان فبين قارئ يقرأ القرآن ومادح لنا ونساء يندبنه.**

فقال حمّاد: قد شهدت بعض ما تصف.

قال عليه السلام: **الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدونا يطعن عليهم ويقبحون ما يصنعون**»[2].

وعن أبي هارون المكفوف، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي:

أنشدني، فأنشدته، فقال:

لا، كما تنشدون، وكما ترثيه عند قبره، فأنشدته:

(١) المنتهى للعلامة الحلي ٢: ١١٢.

(٢) مزار البحار: ١٢٤.

أمـــرر علـــى جـــدث الحســـين   فقـــــل لأعضــــــمه الزكيـــــة
مـــا لـــذّ عـــيش بعـــد رضّـــك   بالجيــــــاد الأعوجيــــــــة

فبكى، قال: فلما بكى أمسكت أنا، فقال:

مُرْ، فمررت، قال: ثم قال:

زدني. قال: فأنشدته:

يـا فـرو قـومي وانـدبي مـولاك   وعلى الحسين فاسعدي ببكـاك

قال: فبكى، وتهايج النساء. قال: فلما أن سكتن، قال لي:

يا أبا هارون من أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنة، ثم جعل ينتقص واحداً واحداً حتى بلغ الواحد فقال: مَن أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنة. ثم قال: من ذكره فبكى فله الجنة»[1].

وعن مسمع قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام:

«أنت من أهل العراق، أما تأتي قبر الحسين عليه السلام؟

قلت: لا، أنا رجل مشهور من أهل البصرة، وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة وأعدائنا كثيرة من أهل القبائل، من النُصّاب، وغيرهم، ولستُ آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيميلون عليّ. قال لي:

---

(١) كامل الزيارات: ١٠٥، عن نفس المهموم: ٣٦.

أفما تذكر ما صنع به؟

قلت: بلى، قال:

فتجزع؟

قلت: أي والله وأستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك عليّ، فامتنع من الطعام، حتى يستبين ذلك في وجهي. قال:

رحم الله دمعتك، أما أنك من الذين يعدّون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا، ويأمنون إذا أمنا، أما أنك سترى عند موتك حضور آبائي لك، ووصيّتهم ملك الموت بك، وما يلقونك به من البشارة ما تقرّ به عينك قبل الموت، فملك الموت أرقُّ عليك، وأشدُّ رحمة لك من الأم الشفيقة على ولدها.

قال: ثم استعبر واستعبرت معه، فقال:

الحمد لله الذي فضلنا على خلقه بالرحمة»[1].

وعن دعبل الخزاعي قال:

«دخلت على سيدي ومولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام في أيام عشر المحرم فرأيته جالساً جلسة الحزين الكئيب وأصحابه من حوله،

---

(١) كامل الزيارات: ١٠١، عن نفس المهموم: ٣٧ ـ ٣٨.

فلما رآني مقبلاً قال لي:

مرحباً بك يا دعبل، مرحباً بناصرنا بيده ولسانه، ثم انه وسّع لي في مجلسه وأجلسني إلى جنبه، ثم قال لي:

يا دعبل أحب أن تنشدني شعراً، فان هذه الأيام أيام حزن، كانت علينا أهل البيت، وأيام سرور كانت على أعدائنا خصوصاً بني أمية، يا دعبل من ذرفت عيناه على مصابنا ولو واحدا كان أجره على الله، يا دعبل من ذرفت عيناه على مصابنا وبكى على مصاب جدي الحسين غفر الله له ذنوبه البتة.

ثم انه نهض وضرب ستراً بيننا وبين حرمه واجلس أهل بيته من وراء الستر ليبكوا على مصاب جدهم الحسين، ثم التفت إلي وقال:

يا دعبل إرث الحسين، فأنت ناصرنا، ومادحنا ما دمت حيا فلا تقصّر في نصرتنا ما استطعت.

قال دعبل: فاستعبرت وسالت عبرتي وأنشأت أقول:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً ... وقد مات عطشاناً بشط فرات

إذن للطمت الخدّ فاطم عنده ... وأجريت دمع العين في الوجنات[1]

(١) الدر النضيد: ٢٤٦.

وروي عن الإمام الكاظم عليه السلام يقول:

«كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يُرى ضاحكاً وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضى عشرة أيام منها فإذا كان العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وبكائه، ويقول هو اليوم الذي قتل فيه جدي الحسين عليه السلام».

وروى الصدوق في الأمالي بإسناده عن الإمام الرضا عليه السلام:

«من تذكر مصابنا، وبكى لما ارتكب فينا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».

عن أبي عمارة المنشد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:« قال لي:

يا أبا عمارة أنشدني في الحسين بن علي قال: فأنشدته فبكى، ثم أنشدته فبكى، قال: فوالله ما زلت انشده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار. قال: فقال:

يا أبا عمارة من أنشد في الحسين بن علي شعراً فأبكى خمسين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرين فله الجنة، ومن انشد في الحسين

شعراً فأبكى واحداً فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فتباكى فله الجنة[1].

وعن زيد الشحّام، قال:« كنا عند أبي عبد الله، ونحن جماعة من الكوفيين، فدخل جعفر بن عفان على أبي عبد الله عليه السلام فقرّبه وأدناه ثم قال: **يا جعفر**، قال: لبيك جعلني الله فداك، قال:

بلغني انك تقول الشعر في الحسين وتجيد، فقال له: نعم جعلني الله فداك، قال:

قل، فأنشده فبكى ومن حوله، حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته.

ثم قال: **يا جعفر والله، لقد شهدت ملائكة الله المقربون ها هنا يسمعون قولك في الحسين** عليه السلام، **ولقد بكوا كما بكينا وأكثر، ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في ساعته الجنة بأسرها، وغفر الله لك.**

فقال: **يا جعفر ألا أزيدك؟** قال: نعم يا سيدي قال:

ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى به إلا أوجب الله له الجنة وغفر له»[2].

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٢.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

عن إبراهيم بن أبي محمود قال: قال الرضا عليه السلام:

«**إنّ المحرّم شهر كان أهل الجاهلية يحرّمون فيه القتال فاستُحلت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، واضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله حرمة في أمرنا.**

إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلاء، أورثتنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون فأن البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام.

ثم قال عليه السلام: **كان أبي إذ دخل شهر المحرم لا يُرى ضاحكاً وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين** صلى الله عليه»[1].

عن الريان بن شبيب قال: «دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم فقال لي:

يا ابن شبيب أصائم أنت؟

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

فقلت: لا، فقال:

إن هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا ربه عزّوجلّ فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء﴾ فاستجاب الله له وأمر الملائكة، فنادت زكريا، وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى، فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله عز وجل استجاب الله له كما استجاب لزكرياعليه السلام. ثم قال:

يا ابن شبيب إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الامة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك ابداً.

يا ابن شبيب أن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب فانه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً، ما لهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السموات السبع والارضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره، وشعارهم (يا لثارات الحسين).

يا ابن شبيب لقد حدثني أبي، عن أبيه، عن جده انه لما قتل

جدي الحسين أمطرت السماء دماً وتراباً احمر، يا ابن شبيب أن بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفرا الله لك كل ذنب أذنبته صغيراً كان أم كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً.

يا ابن شبيب إن سرّك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك، فزر الحسين.

يا ابن شبيب إن سرك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبيصلى الله عليه وآله **فالعن قتلة الحسين.**

يا ابن شبيب إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين فقل متى ما ذكرته (يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً).

يا ابن شبيب إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان، فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أن رجلاً تولى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة»[1].

روى ثقة الإسلام، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، في الكافي باسناده عن العبدي سفيان بن مصعب الشاعر، قال:

---

(١) امالي الصدوق المجلس ٢٧ ـ الرقم٥، عيون أخبار الرضا ١: ٢٩٩.

«دخلت على أبي عبدالله عليه السلام، فقال:

قولوا فروة تجيء فتسمع ما صنع بجدها. قال: فجاءت، فقعدت خلف الستر، ثم قال عليه السلام: **أنشدنا،** قال: فقلت:

(فرو جودي بدمعك المسكوب).

قال: فصاحت، وصحن النساء[1].

ودخل جعفر بن عفان الطائي، على الصادق عليه السلام، ورثى أبا عبد الله عليه السلام بمحضر الصادق عليه السلام، بقصيدة منها:

ليبك على الإسلام من كان باكياً	فقد ضيعت أحكامه واستحلت
غداة حسين للرماح ردية	وقد نهلت منه السيوف وعلت[2]

وعن ابن شعبة، عن عبدالله بن غالب، قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام، فأنشدته مرثية الحسين بن علي عليه السلام، فلما انتهيت إلى هذا الموضع:

لبلية تسقوا حسيناً	بمسقاه الثرى غير التراب

(١) الكافي٨: ٢١٦، وفي هامشه: (أُم فروة هي كنية لام الصادق عليه السلام بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، ولبنته، على ما ذكره الشيخ الطّبرسي رحمه الله في أعلام الورى، والمراد هنا الثانية).

(٢) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام:٢٠٥، النهل والشرب، والعل الشرب ثانياً والشرب بعد الشرب.

صاحت باكية من وراء الستر: يا أبتاه[1].

وقال ابن الجوزي: نظر سليمان بن قبة الشاعر البارع إلى مصارع القوم بكربلاء، فبكى حتى كاد أن يموت، ثم قال:

وان قتيل الطف من آل هاشم	أذل رقاباً من قريش فذلت
مررت على أبيات آل محمد	فلم أر امثالاً لها يوم حلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها	وان أصبحت منهم برغمي تخلت
ألم تر أن الشمس أضحت مريضة	لفقد حسين والبلاد اقشعرت

(١) كامل الزيارات:١٠٥.

تسرّب بعض الشوائب إلى الشعائر الحسينية

الشعائر الحسينية هي كما ذكرنا وسائل الجمهور للتعبير عن ارتباطه العاطفي وإنشداده النفسي بمأساة كربلاء.

والجمهور الحسيني من أصدق الجماهير في التفاعل مع مأساة الطف، ويبلغ هذا التفاعل قمته في العشرة الأولى من شهر محرم، وقمة هذه العشرة اليوم العاشر، ويبلغ من تفاعل شيعة أهل البيت عليهم السلام مع المأساة أن يتعطل المألوف من حياتهم تماماً في هذا اليوم.

ويتوزّع الجمهور على مجالس الحسين عليه السلام ومواكب العزاء أفواجاً في حالة مشجية وحالة عزاء.

وبطبيعة الحال أن مثل هذا التعاطف الفاعل والمؤثر يفتح باباً واسعاً تدخل من خلاله بعض الطقوس والأعمال غير الموجّهة في الشعائر الحسينية، كما يفتح على المنبر الحسيني باباً لتدخل من خلاله طائفة من الأحاديث والروايات المرسلة وغير الموثقة في مأساة الطف.

وهذا وذاك مع الأسف أمران يحدثان في الشعائر الحسينية والمجالس الحسينية.

الشعائر والمجالس الموجّهة

ولكي تبقى المجالس والشعائر الحسينية فاعلة ومؤثرة وقوية، وتحتفظ بدورها في تصعيد تفاعل الجمهور مع القضية الحسينية، وتحتفظ بكفاءتها العالية في تفجير غضب الجمهور وثورته تجاه الظالمين وتحريك الجمهور وتثويره، لابدّ أن يقوم العلماء دائماً بدور الإرشاد والتوجيه لتهذيب الشعائر والمجالس الحسينية، وتوجيهها وتصفية هذه الشعائر مما لحقها من الطقوس والأعمال التي لا يستسيغها الذوق السليم، ولا روح الإسلام، ومنهجه في العزاء، ولا تعاليم أهل البيت عليهم السلام في إقامة عزاء الحسين عليه السلام وإقامة الشعائر، وهذا واجب العلماء والخطباء، الذين أوكل الإسلام إليهم مهمة توجيه الجمهور وتوعيته.

الخطوط العامة لتوجيه الشعائر الحسينية

والخطوط والعناصر الأساسية لتوجيه الشعائر الحسينية هي:

١ـ التمسك بنصوص روايات أهل البيت عليهم السلام في إقامة مجالس العزاء الحسيني وإقامة الشعائر الحسينية، وهذه الروايات كما ذكرنا كثيرة ومنتشرة في الكتب الموثوقة.

٢ ـ الشعائر الموروثة من سلفنا الصالح على أيدي العلماء العاملين منذ عصر الغيبة الكبرى إلى اليوم، والتي تلقاها علماؤنا جيلاً بعد جيل بالتأييد والدعم، كإقامة مجالس العزاء ومواكب العزاء والبكاء والزيارة وما أشبه ذلك.

٣ ـ أن لا يكون في هذه الشعائر ما يُسببّ وهناً أو ضعفاً للطائفة، ولا لمذهب أهل البيت(عليهم السلام)، ولا يعكس صورة سلبية أو موهونة لمذهب أهل البيت(عليهم السلام) وأتباعهم للناس.

٤ ـ أن تعكس ظلامة أهل البيت(عليهم السلام) والمآسي التي مرّت عليهم، وتعكس ظلم الظالمين وتجرءهم على الله ورسوله وأوليائه.

٥ ـ أن تعكس ثورة أهل البيت(عليهم السلام) وحركتهم وخروجهم على الظالمين وعدم رضوخهم لهم وشجاعتهم ومقاومتهم وصلابتهم في الله.

٦ ـ أن تحفظ للجمهور عاطفته وانشداده بمأساة عاشوراء، وتصعّد هذه العلاقة والانشداد النفسي بمأساة الطف.

٧ ـ أن تعكس رسالة أهل البيت(عليهم السلام) ووعيهم للإسلام ومواقفهم في التاريخ الإسلامي التي حافظت على نقاوة الإسلام ومنعت تحريفه،

ويكون مجالاً خصباً لدعوة الناس إلى الإسلام وتوجيههم إلى هدى أهل البيت(عليهم السلام) ومجالاً خصباً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعريف بمفاهيم الإسلام وهدى القرآن، ودعوة الناس إلى إقامة الصلاة وسائر فرائض الله.

وكذلك ينبغي أن يسعى العلماء والخطباء دائماً إلى توجيه الشعائر والمجالس الحسينية وتهذيبها وجردها وفق برنامج ومنهج مدروس.

دور الجمهور في ترشيد الشعائر الحسينية:

ولئن كان يجب على العلماء أن يقوموا بدور رائد ومسؤول في توجيه الشعائر الحسينية، فإن على الجمهور الحسيني أن يدعم هذه الحركة الواعية المسؤولة في تصحيح وتهذيب الشعائر الحسينية.

إن لتصحيح الشعائر الحسينية دور كبير ومؤثر في إنشداد الجمهور بمأساة الطف، وبعكس ذلك فإن إهمال توجيه الشعائر الحسينية يفتح الباب لدخول الكثير من الطقوس والأعمال التي لا تلائم روح الإسلام ولا نصوص أهل البيت(عليهم السلام) ولا الذوق السليم، وتؤدي إلى تحجيم دور الشعائر الحسينية في تحريك الجمهور وتوعيته وربطه بالحسين(عليه السلام) وقضية الحسين(عليه السلام).

ولذلك فإن من واجب الجمهور أن يواجه هذا التوجيه والتهذيب للشعائر الحسينية بوعي ومسؤولية. وقد أثبت الجمهور الحسيني دائماً انه على مستوى الوعي والمسؤولية، كما هو أهل للعطاء والتضحية.

الفصل الثاني

الشعارات الحسينية يوم عاشوراء

في سياق الحديث عن الشعائر الحسينية... لا بد أن نرجع إلى ساحة الملحمة الخالدة في التاريخ يوم عاشوراء وهو المعين الأول لكل هذه الشعارات... لنستعرض الشعارات التي اشهرها الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته في ساحة الطف.

وهذه النقطة بالتأكيد ضرورية في دراستنا للشعائر الحسينية... فان تلك الشعارات هي الأساس والعمق الأول للشعائر الحسينية في امتداد التاريخ وعلى مساحة واسعة جداً من الأرض.

وهذه الشعارات تتجسد في الهتافات والرجز الذي كان يلقيه ويردده الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته في ذلك اليوم في ساحة المعركة.

ولا شك أن هذه الدراسة على قدر كبير من الأهمية... فهي تكشف لنا الأهداف والغايات الحقيقية لثورة الحسين عليه السلام في عاشوراء، والإطار والمضمون الحقيقي لهذه الملحمة المأساوية الخالدة والتي كتبها الحسين للأجيال بدمائه ودماء أهل بيته وأصحابه الزاكية.

الخطاب والشعار

إن أفضل ما يعكس لنا ثقافة عاشوراء هو (الخطاب) و(الشعار)... وقد حفظ الله تعالى لنا هذين المعينين الثقافيين اللذين يرفدانا بثقافة عاشوراء من الضياع والسطو في حكومة بني أمية وبني العباس الذين كانوا يكافحون هذه الثقافة، ويعملون على استئصالها بكل الوسائل الممكنة.

وقد احتفظ لنا التاريخ بكثير من الخطاب الحسيني وخطاب أهل بيته وأصحابه منذ أن خرج من المدينة إلى أن رجع أهل بيته إلى المدينة من الشام، في تلك الظروف التي كان يحكمها الإرهاب، كما حفظ الله تعالى لنا الكثير من الهتافات والرجز الذي ألقاه الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه يومئذ في ساحة المعركة، وهو الذي سميناه بـ (الشعارات الحسينية) في ساحة المعركة.

ولئن كانت تلك الخطابات والشعارات التي أطلقها الحسين عليه السلام وأنصاره وأهل بيته في ظروف الإرهاب والاضطهاد الأموي أمرا غريباً واختراقاً لجدار الرعب والإرهاب، فإن ثبات هذه الخطابات والشعارات في ذاكرة التاريخ ـ عبر حكم بني أمية وبني العباس ـ إلى

اليوم لا تقل غرابة.

ونحن هنا نتحدث عن الشعارات الحسينية أما الخطاب الحسيني، فقد تحدثنا عنه في كتاب (الخطاب الحسيني).

هذه الشعارات كانت في الغالب شعراً من بحر (الرجز) يرتجز فيه المقاتلون ساعة النزول إلى الساحة والاشتباك مع العدو وكانت في الغالب على نحو الارتجال... وهي على عفويتها تحمل مفاهيم وأفكار وقيما يحتاج إلى كثير من التأمل والتوقف والدراسة.

وليست لدينا هنا فرصة دراسة دقيقة وعميقة لدراسة هذا الرجز وندعو خطباء المنبر الحسيني أن يتناولوا هذا الموضوع باهتمام أكثر... ولكننا نشير في هذه العجالة إلى مجموعة من المفاهيم والقيم التي نقتبسها نحن من هذه الشعارات التي كان يطلقها أنصار الحسين في ساحة الوغى، عند الاشتباك.

الفهرس